اثر اللغة العربية في اسهامات اليهود والنصارى في الاندلس أثناء عهدي الخلافة والطوائف

(دراسة تاريخية)

م.د علي عطية شرقي
جامعة بغداد/كلية التربية (ابن رشد)

الملخص

هذه دراسة تاريخية تبحث في أهمية اللغة العربية ومدى تأثيرها على علماء اليهود والنصارى في بلاد الأندلس، لا سيما وأن هذا التأثير قد أنصب بشكل كبير في شتى مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

ويبدو أن تأثير هذه اللغة العظيمة كان واضحاً ولا يمكن تجاهله، أذ كانت الوسيلة التي فاء أثرها على جميع الطوائف، حيث نافست جميع اللغات التي كانت قائمة في البلاد، وبالتالي أنعكس هذا التأثير إيجاباً على النتاج العلمي والمعرفي عند علماء أهل الذمة خاصة في مجال التأليف والترجمة، فضلاً عن مجال الأدب والشعر وغيره، ولا يمكن أن ننسى بأنهم أدركوا تماماً بأن لا سبيل لارتقاء المناصب الإدارية إلا بتعلم هذه اللغة وإتقان علومها، فضلاً عن كونها طريقة رائعة وذكية للتقرب بها من الحكام أو السلطة الحاكمة، لذلك سارعوا بشكل كبير وبطريقة تفوق التصورات لإتقان اللغة العربية ليحققوا من خلالها طموحاتهم الشخصية.

Abstract

This study explores the importance of Arabic language and the extent of its influence in the land of Andalusia, especially as this effect has been focused largely on the activity of scientists from the dhimmi Jews and Christians in various areas of social, political and economic life. It seems that the great effect of this language was obvious and cannot be ignored, where it was the means by which surpassed its impact on all communities have competed all languages that existed in Andalusia and thus reflected appositive impact on the production of scientific knowledge and scientists when the people of disclosure, particularly in the field of translation and synthesis as well as the field of literature and poetry. Also cannot forget that they fully realized that there is no way to upgrade the managerial positions, unless learn and master the language sciences, therefore it is a great way to get closer and intelligent of their rulers. So quick and in a manner beyond perceptions of mastery to achieve through their aspirations of self.

أصبحت بلاد الأندلس بعد استقرارها من بين أهم المراكز العلمية والفكرية في الدولة العربية الاسلامية ولاسيما في عهدي، الخلافة الاموية(٣١٦-٤٢٢هـ/٩٢٩-١٠٣١م) والطوائف(٤٢٢-٤٨٤هـ/١٠٣١-١٠٩١م)، إذ استقطبت مدارسها ومنتدياتها العلمية علماء كبار من مختلف المناطق والمدن والاقاليم، ومما ساعد في ذلك توافر البيئة العلمية والثقافية، فضلا عن التشجيع المنقطع النظير الذي وجده العلماء الوافدين إليها من قبل الخلفاء والامراء، مما جعلها تسمو في مجال المعرفة وتمسي منافسا حقيقيا للمشرق الاسلامي .

ومما لاشك فيه، فأن تسليط الضوء على تأثير اللغة العربية على نشاطات اليهود والنصارى وأسهاماتهم في الحياة العلمية والفكرية يؤشر بوضوح الى تحديد مواطن التأثير العربي والاسلامي، والمدى الواسع لهذا التأثير في مختلف فئات المجتمع الاندلسي، فضلا عن انه مؤشرا مهماً للتاثير المتبادل بين الشعوب، وهذا في الواقع يدعو الى ايجاد بيئة علمية وثقافية متعايشة ومتسامحة كالتي كانت في بلاد الاندلس بعد الفتح العربي الاسلامي لها، والتي ظلت على صلتها العميقة ببيئتها المشرقية، وعلى أعتدالها فيما يتعلق باحترام الاخر كيفما كان، ومقارعة الفكر بالفكر"وهديناه النجدين" (١) .

ولاشك، فأن الاطلاع على ماكتبه العلماء اليهود والنصارى في الاندلس يؤكد تأثير اللغة العربية وثقافتها ويؤشر ايضا تأثير الفكر الاسلامي بما في ذلك القران الكريم والحديث الشريف، فهناك نقول نصية او تضمينية في كتاباتهم، ذلك لانهم وجدوا في رحاب الاسلام امناً اجتماعياً ورقياً علمياً، فكان الثأثير الايجابي الذي اكدته الديانات السماوية في مفهومها للتعايش بين الشعوب((يأأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم)) (٢)

لقد شكلت اللغة في نشأتها وتطور نظامها بنحو مواز لنشأة التفكير الانساني وتطور نظامه، وهي وسيلة مهمة من وسائل التلاقح الفكري والحضاري عند الشعوب والأمم (٣) فضلاً عن كونها أداة اتصال بين الأفراد والشعوب يعبر من خلالها كل انسان عن اغراضه وحاجاته (٤) وقد أنمازت اللغة العربية عن غيرها من اللغات الاخرى بالمرونة والاستيعاب، ومما يعضد من ذلك أنتشارها المذهل وسط أثنيات عرقية يصعب أختراقها(٥) والاكثر من ذلك كله، أن كثيراً من أهالي تلك الاثنيات الذي يطلق عليهم "أهل الذمة" تحدثوا فيها بطلاقة، ولم يقتصر الامر على ذلك، بل تفقهوا في علومها وألفوا في بعض مجالاتها(٦).

ومما ساعد في ذلك ايضاً توافر اسباب اللقاء الحضاري والانساني في بلاد الاندلس من خلال أشراك الانسان فيها في العيش المشترك عرقا ودينا، فتعايش العربي وغير العربي والنصراني واليهودي والمسلم، وتمتعوا بالحرية الدينية والفكرية، مما أسهم في الحفاظ على هذا العيش وتنميته والعمل على ديمومته، كل ذلك كان سببا في تفاعل اللغات واللهجات المختلفة، وبالتالي تحقق أكبر قدر ممكن من التواصل الحقيقي بين الشعوب.

ولانبالغ في القول اذا ما قلنا، ان النهضة الفكرية والعلمية للعلماء اليهود في عصريَ الخلافة الطوائف قد جرى ضمن أطار التطور الفكري والعلمي في بلاد الاندلس ولاسيما بعد تبوأ مدينة قرطبة مكانة علمية سامقة، اذ تبارى اعلامهم في انشاء مراكز علمية وفكرية لمنافسة المراكز الاخرى في المشرق الاسلامي، ولم يكن ذلك ممكنا لولا معرفتهم للغة العربية واجادتهم لقواعدها، فقد نهض العلماء اليهود بفكرهم العلمي والثقافي، وهو الذي لم يعرف النهضة إلا في بلاد الاندلس أبان حكم المسلمين له(٧) اذ عملوا على جعل هذه المدينة مركزا علميا وفكريا للدراسات اليهودية (٨) و مما يجدر ذكره هنا أن لغة اليهود العبرية كانت مهملة حتى بعد وقت قريب من الفتح العربي الاسلامي، وان كثير من اليهود لا يفهمون حتى الترانيم والطقوس التي يؤدونها بها(٩) ويحتمل أنها بقيت على وضعها حتى أختلط اليهود بالعرب المسلمين وتعلموا من طريقهم اللغة العربية، فضلا عن قواعدها وعلومها وادابها .

ومع ذلك كله، فأن الاسهامات اليهودية في مجالات التأليف في اللغة العربية لم تجد أهتمام يتناسب مع تلك النهضة التي سبق التنويه عليها، فمن بين العشرات وربما المئات من المصنفات اليهودية في مختلف علوم المعرفة الانسانية العربية لم يصل الينا منها سوى القليل جدا، ولولا جهود المؤرخ الفذ صاحب الصيت الذائع(ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أحمد بن القاسم) المتوفى (سنة٦٦٧هـ/١٢٧٠م) وتحريه عن مصنفاتهم، لجهلنا الى حدٍ كبير اسماء مصنفيهم وعناوين مؤلفاتهم، لذلك فأن الدراسة ستتوجه الى التعريف بأسهامات أولئك العلماء سواء من الذين وردت أسمائهم في مؤلفات قديمة او الذين سلمت مؤلفاتهم من عاديات الزمان، على وفق منهج يُراعى فيه السبق التاريخي .

وبادئ ذي بدء، لاريب من توضيح أمر مهم يرتبط بالنتاج التأليفي اليهودي وهو ان جُل العلماء اليهود قد تخصصوا في علوم اللغة وآدابها حتى ان بعضهم صار حجة في بعض مواضيعها، ولعل (مروان بن جناح اليهودي القرطبي) المتوفى سنة(٤٤١هـ/١٠٥٠م)، يقف في مقدمتهم وقد كرس جهده لدراسة ظواهر اللغة العبرية وكانت نتيجة بحثه كتاب(اللمع) وأضاف إليه كتاب آخر هو(معجم للعهد القديم) سماه(الأصول) والكتابان يتممان بعضهما لفهم اللغة العبرية ، وقد جمعهما في كتاب اسمه(التنقيح) وهذا الكتاب للعبرية ككتاب سيبويه للعربية، مع الإشارة والتذكير ان التأليف في تلك الفترة باللغة العربية ثم ترجم للغة العبرية، وهو من المؤلفات التي تُبرز رجاحة مؤلفه وأستيعابه لمفردات اللغة، وحسن تعامله معها، ولعل ترجمة هذا الكتاب الى اللغات الاخرى ماهو الإ دليل على ابداعه وحصافته وضلاعته، وهناك أمر لابد من ذكره في هذا المجال، وهو ان مروان بن جناح كان متأثراً من ناحية الاسلوب والمنهج والمحتوى بأساليب المؤلفين العرب والمسلمين(١٠) واما (سليمان بن جبرول اليهودي) المتوفى (سنة٤٤٢هـ/١٠٥١م) فهو أيضا لايقل براعة عن سابقه، فقد تخصص في ميدانين خصيبين هما اللغة والشعر، وتعكس كتبه المؤلفة في هذين الموضوعين سعة ثقافته وحرصه على بلوغ أعلى المراتب

في هذين الاختصاصين، فكتابه (ينبوع الحياة) يُعد من المؤلفات التي وجدت صدى في بلاد الاندلس(١١) كذلك كتابيه (التاج الملكي وإصلاح الأخلاق)(١٢).

ومن المؤلفين اليهود الذين ساروا على نهج المؤلفين العرب والمسلمين هو (موسى بن يعقوب) المتوفى (سنة٤٥٩هـ/١٠٦٧م) صاحب كتاب (المحاضرة والمذاكرة)، ولم تكن الجوانب الاجتماعية بعيدة عن مؤلفه، اذ عالجها بأسلوب لغوي لا يخلو من التأثير المشرقي، وربما سلك فيه نهج التنوخي، علي بن محمد المتوفى سنة(٣٨٤هـ/٩٩٤م) في كتابه (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة)، من ناحية المعالجة التاريخية والاجتماعية(١٣).

واما في ميدان الشعر ونقده، فالقصائد التي أنشدها شعراء اليهود تعكس أهتمامهم بقواعد الشعر العربي شكلاً ومضموناً، فضلاً عن تأثرهم بفن المقامات والموشحات الاندلسية وترجمتها الى اللغة العبرية(١٤) والى جانب ذلك فأن للعلماء اليهود دور ملحوظ في مجال تعليم الشعر ونقده ونخص بالذكر منهم (يوسف بن إسحاق الإسرائيلي) الأديب اللامع الذي ذكره (ابن بسام، أبو الحسن الشنتريني) المتوفى (سنة٥٤٢هـ/١٢٦٠م) في ذخيرته، ومما يؤكد علو كعبه في هذا الميدان، ان شيخه الوزير الكاتب (أبو عامر بن عبد الملك بن شهيد)(١٥) قد أشاد به وتنبأ له بمكانه مرموقة بين شعراء عصره، حينما كان يتجاذب أطراف الحديث مع أحد رجال قرطبة مما جعل الاخير ينشد بعض الابيات الشعرية ومنها:

حلفتُ برب مكة والجمال   لقد وزنت كروبي بالجبال

ومما يبدو، ان هذا البيت الشعري قد أثار يوسف بن اسحاق اليهودي فأنشد على سبيل الرد على ما قاله ذلك الرجل:

أيم ركبانهم منعجاً   وقد ضمنوا قبلك الهودجا

وأستمر إلى آخر القصيدة، مما جعل الرجل القرطبي يقر صراحة بأن شعر يوسف اليهودي أفضل من شعره(١٦) والواقع فأن ما حازه يوسف اليهودي من مكانه مبرزة بين أدباء عصره أنما كانت بفضل تتلمذه ومواضبته لعلماء عصره من المسلمين ولاسيما (ابن شهيد) المتوفى سنة(٣٨٢هـ/٩٩٢م) الذي لم يخف أعجابه الشديد بتلميذه بقوله ما نصه " كان أفهم تلميذ مر بيَ"(١٧).

ويعكس النتاج العلمي والثقافي لليهود والذي فاق نتاج النصارى كماً ونوعاً قدرتهم على التعلم بسرعة والتكيف مع الحياة العلمية المبدعة السائدة في بلاد الاندلس ولا سيما قرطبة، ومما يدل على ذلك الترجمات الكثيرة لعدد غير قليل من المؤلفات اللاتينية والعربية من دون تغير في محتواها الى لغتهم العبرية، وهذه ولا شك عملية غاية في الدقة والصعوبة(١٨).

ولم يقتصر تذوق الشعراء اليهود للشعر العربي ودراسة قواعده، أنما الخوض في بعض مواضيعه كالمديح والرثاء على سبيل المثال لا الحصر، بيد ان مايؤسف له ان المصادر المتيسرة بين أيدينا لم تسهب في ذكر القصائد الشعرية التي فاه بها لسان الشعراء اليهود، وأكتفت في أغلب الاحيان بذكر مواضع القصائد عند ترجمتها لبعض الشعراء، نظير الشاعر اليهودي المبرز أبراهيم بن سهل الذي نظم قصائد في مدح النبي محمد"صلى الله عليه واله وسلم" وأخرى في رثاء الامام الحسين بن علي"عليهما السلام"(١٩) وايضا الشاعر دوناش هاليفي الذي لايقل شهرة عن سابقه، وقد ابرزت المصادر المتيسرة ايضاً أهتمامه الملحوظ باللغة العربية وادابها، وفضلاً عن ذلك مكانته المبرزة بين مثقفي عصره، وتأثيره على اليهود في بلاد الاندلس، وكانت نصائحه محل الرضى والقبول بين أولئك اليهود، ولعل القصيدة الشعرية التي أنشدها في هذا الجانب تدلل على ذلك ومطلعها:-

فليكن الكتب المقدسة جنتك　　　ولتكن الكتب العربية فردوسك(٢٠)

لقد أدرك اليهود انه لاسبيل امامهم اذا ما أرادوا تسلق المناصب الادارية في الدولة العربية الاسلامية عامة وبلاد الاندلس خاصة إلا بتعلم اللغة العربية وإتقان علومها على حساب انها اللغة الرسمية للبلاد والطريقة المثلى للتقرب من الحكام، وعلى اساس ذلك فقد دأب اليهود في بلاد الاندلس على وجه الخصوص على تعلم اللغة العربية وإتقانها بسرعة فاقت كل التصورات، ويمكن اعتبار حسداي بن شبروط نموذجاً فذاً في تعلم اليهود للغة العربية وادبها وعلومها(٢١) إذ كان مطلعاً على كثير من جوانب الثقافة العربية والثقافات المشرقية والغربية الاخرى، فضلاً عن المامه ببعض اللهجات الاندلسية المحلية(٢٢) ويبدو ان خبرته في هذا المجال قد انعكست على سائر اليهود في بلاد الاندلس فأقبلوا على تعلم اللغة العربية مما فتح المجال امام اليهود في تبوأ المناصب الادارية سواء داخل الاندلس او خارجها على سبيل العمل الدبلوماسي، ولا يفوتنا في هذا المجال ايضا الاشارة الى ان أتقان اليهود للغة العربية واللغات الاخرى قد منحهم أولوية العمل في قصور الخلفاء والامراء، فكانوا يشاركون في مراسيم أستقبال سفراء الدول الاوربية الوافدين الى بلاط الدولة العربية الاسلامية(٢٣).

ومما يبدو فأن شغف بعض علماء اليهود لتعلم للغة العربية قد مكنهم من الابداع في كثير من معارفها، فلم يكن فرع من فروع المعرفة إلا ونال اليهود نصيباً منه(٢٤) ولعل المتتبع للتراث اليهودي في بلاد الاندلس لا يجد صعوبة في القول ان جُل مؤلفات اليهود قد ألفت في قواعد اللغة العربية مما يدل على علو كعبهم وباعهم في فن الكتابة وفي التناغم اللغوي بين العربية والعبرية(٢٥)، وفي هذا الصدد يذكر الاستاذ شحلان بأن العلوم التي ظهرت في بلاد الاندلس كان جزءاً منها من بنات علماء أهل الذمة ولا سيما اليهود منهم على وجه التحديد على حساب أنهم تشربوا بالثقافة العربية الاسلامية مما فتح أبواب

جديدة لم يكن للفكر اليهودي علم بها، مما هيأ امامهم بزوغ عصر أشبه بالذهبي لليهود، تقليداً وتأليفاً وترجمة(٢٦).

وإذا ما أنتقلنا الى أسهام اخر لا يقل شأناً عن الاسهام السابق ونقصد اسهامات العلماء النصارى في الجهود التأليفة وفي حركة الثقافة العربية الاسلامية عموماً، فنجد هؤلاء كسابقيهم اليهود قد تعلقوا باللغة العربية وادابها وعلومها ولم يتركوا باباً من أبوابها إلا وخاضوا فيه، إذ كانت ثمة دواعٍ وحاجات دينية اجتماعية تحفزهم على سرعة تعلم اللغة العربية واتقانها بالشكل الذي يؤمن مصالحهم الذاتية وتعايشهم المشترك مع العرب المسلمين وكذلك الحصول على بعض المناصب الادارية في الدولة، وقد اتاح ذلك لبعضهم الاختلاط بأمراء واشراف العرب والمسلمين بغية التواصل الانساني الذي أكدت عليه الديانات السماوية(٢٧).

وقد لا نجافي الموضوعية إذا ما قلنا، ان أنتشار اللغة العربية في بلاد الاندلس يُعد من أكثر المقومات التي قامت عليها النهضة العلمية في تلك البلاد، فهي لغة المعاملات والمخاطبات الرسمية، فضلاً عن أنها لغة التعليم في المؤسسات التعليمية المختلفة(٢٨) وقد بذل الخلفاء والامراء جهوداً كبيرة في نشر اللغة العربية بمختلف مناطق البلاد الاندلسية، فتذكر الروايات التاريخية ان الامير هشام بن عبد الرحمن الداخل(١٧٢ـ١٨٠هـ/٧٨٨ـ٧٩٦م) قد ألزم غير العرب من الديانات الاخرى بتعلم اللغة العربية(٢٩).

ولم يمض إلا وقت قليل حتى نافست اللغة العربية اللغات الاخرى التي كانت قائمة في بلاد الاندلس على سبيل اللغة الرومانسية(الرومانثية) وهي لهجة عامية مشتقة من اللاتينية(٣٠)، على الرغم من ان الاخيرة كانت أكثر استخداماً وشيوعاً، بيد ان تأثير العربية كان أكثر على جُل السكان المسيحيين في شبه الجزيرة الأَيبيرية بكاملها(٣١).

وقد أنعكس أنتشار اللغة العربية بصورة ايجابية على بعض طوائف المجتمع الاندلسي، اذ حدث تداخل لغوي بين اللغة الجديدة الوافدة إليهم وبين لغتهم القديمة مما أسهم في أحداث تأثير واضح في معظم مناحي حياتهم، على ان ذلك لا يعني تداخلاً حقيقياً بين اللغتين، فاللغة العربية وبفضل ما تملكه من خصائص ومقومات بنيوية مثلت منذ نشأتها الاولى اصواتاً نطقها الانسان ليعبر بها عن حاجاته ورغباته وعلاقته بالاخرين من اجل عيش مشترك بين الجميع(٣٢) ولذلك اندفع النصارى وغيرهم من الطوائف الاخرى على تعلم اللغة العربية على حساب أنها وسيلة للالفة والتالف مع ساكنيهم من العرب والمسلمين(٣٣)

واذا كانت اللغة العربية تُعد ضرورة للنصارى في بلاد الاندلس للاسباب المذكورة آنفاً، إلا ان اسهامات النصارى في بعض علومها وآدابها قد منحها الصدارة بين اللغات الاخرى في تلك البلاد، ولم يقتصر الامر على ذلك، فقد برع بعض النصارى في مجالات مهمة كالترجمة والتأليف في اللغة العربية ومنهم (قسطنطين الأفريقي)، نزيل قرطبة المتوفى سنة(٤٨٠هـ/١٠٨٧م) والذي يُعد من أقدم المترجمين

للمؤلفات العربية ولاسيما الطبية منها(٣٤) ومما يبدو فأن قسطنطين الافريقي قد نهل ثقافته الاولى في بعض المدن العربية ولاسيما قرطاجة في تونس، ثم واصل دراسته بعد ذلك في المدارس الايطالية المعروفة بريادتها في العلوم الطبية في اوربا، وبعد ان تحصل له من تلك العلوم رجع الى قرطبة موطنه الاصلي وبدأ يترجم أمهات المؤلفات الطبية، فضلا عن المؤلفات الاخرى في المجالات الادبية والثقافية مما أنعكس على الحركة التأليفية في الاندلس آنذاك(٣٥).

ولم تكن الكنيسة بعيدة عن التأثر باللغة العربية وآدابها وعلومها، اذ قامت بترجمة الانجيل الى اللغة العربية(٣٦) وترجمة الصلوات الكنسية الى العربية ايضا وبذلك أصبحت اللغة اللاتينية بمرور الوقت لغة ثانوية محدودة التأثير(٣٧) ويبدو ان هدف الكنيسة هو لنشر وتوضيح العقائد المسيحية باللغة العربية ليفهمها الفاتحون العرب، وقد أنعكس ذلك كثيراً في انتشار اللغة العربية بين المسيحيين الذين أعجبوا ايما أعجاب بجمالها وبلاغتها حتى صارت لغة الشباب في الاندلس لغةً وكتابةً(٣٨).

وهناك عامل مهم اخر أسهم في توجه النصارى لدراسة اللغة العربية وعلومها وادابها وهو الرغبة في تبوأ المناصب الادارية العليا في الدولة العربية في الاندلس وهذا لايمكن بلوغه إلا بتعلم اللغة العربية، وقد أشارت الروايات التأريخية الى تبوأ بعض النصارى المناصب الادارية ولاسيما الوزارة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر (يحيى بن إسحاق) الذي استوزر في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر(٣٠٠-٣٥٠هـ/٩١٢-٩٦١م) ثم أنيط به فيما بعد حكم ولايات أندلسية عدة(٣٩) وهذا ولا شك يؤشر رغبة الخلفاء والامراء في الاندلس في استقدام النصارى في المؤسسات الادارية للاستفادة من خبراتهم ومهاراتهم في بناء الدولة(٤٠) وفضلا عن ذلك فأن ما حازته المراكز العلمية والثقافية في الاندلس من شهرة علمية وثقافية مرموقة، جعلها تستقطب وتجذب كثير من العقول المسيحية الوافدة من أوربا ومنها الحاضرة قرطبة التي كانت محطة علمية لكثير من النصارى(٤١)، وكذلك طليطلة التى كانت من أنشط المراكز العلمية في الاندلس كما تشير الروايات المتيسرة بين ايدينا(٤٢) وذلك بفضل الجهود الكبيرة لعدد غير قليل من العلماء والادباء العرب والمسلمين، اذ تمكن هؤلاء من نشر اللغة العربية وعلومها في هذه المدينة التي امتازت بخصوصيتها الاسبانية، بيد ان ذلك لم يُعد حائلاً امام انتشار اللغة العربية فيها، بل ان المصادر تشير الى تفوق العربية على الاسبانية لدرجة انها استعملت في الصلوات والطقوس الدينية (٤٣) ، فضلا عن استعمالهم لها في الكتابة والقضاء والعمارة زهاء قرنين من الزمان(٤٤).

ولم يقتصر أهتمام النصارى في المجال التأليفي والترجمة انما أمتد ليشمل مجالات مهمة في الادب والشعر، اذ ذكرت الروايات التأريخية ان بعض النصارى قد نشطوا في دراسة الشعر العربي ولاسيما الغنائي منه على وجه الخصوص وبمرور الوقت نشأ ضرب من الشعر العامي القشتالي استخدمه المسيحيون في الاناشيد الدينية وأعياد الميلاد، وقد أشارت الروايات ايضا الى وجود تأثير كبير للموشح الاندلسي في ظهور هذا الضرب من الشعر(٤٥).

إن انتشـار اللغـة العربيـة إلـى اليـوم داخـل اللغـة الاسـبانية لـدليل عميـق علـى التـأثير العربـي والإسلامي الذي هو شاهد ليومنا هذا على حضارة أسسها العرب والمسلمون في شبه الجزيرة الأيبيرية.

ويثبت الباحثون اللغويون الأسبان إن تأثير اللغة الاسبانية باللغة العربية عميق جدا، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى انتشارها الواسع في بلاد الأندلس على مدى ثمانية قرون من الزمن إبان الحكم العربي الإسلامي الذي بدأ إليها سنة(٩٢هـ/٧١١م) واستمر حتى خروجهم منها سنة(٨٩٨هـ/١٤٩٢م)، ويشهد التاريخ إن العرب أسسوا حضارة عظيمة في بلاد الأندلس، تجلت في انتشار العلوم والفن والعمران، فضلاً عن الزراعة والري والصناعة والهندسة المعمارية، مما جعل البلاد آنذاك مركز أشعاع فكري وحضاري وثقافي أنعكس أثره على معظم بلاد أوربا، وبالتالي خلق نوع من التبادل العلمي والمعرفي بين شعوب العالم أجمع، هذا الفضل يعود بكل تأكيد إلى العربية التي كان تأثيرها جلياً وواضحاً على علماء أهل الذمة من يهود ونصارى ولا يمكن تجاهلهٌ على الرغم من بعض الكتابات الغربية الحديثة والمعاصرة التي تحاول طمس تلك الحقبة الذهبية من تاريخ الدولة العربية الاسلامية في بلاد الاندلس، فهذه الحقبة كما ورد في تضاعيف هذه الدراسة قد استوعبت الاخر وعملت على خلق مجتمع متعايش، وكانت اللغة العربية الوسيلة التي فاء أثرها على الجمع، فتبارى أهل الذمة من يهود ونصارى الى جانب العرب والمسلمين في ايجاد بيئة علمية وثقافية مزدهرة .

الهوامش:

١. سورة البلد/ الايه (١٠)
٢. سورة الحجرات/ الايه (١٣)
٣. شحرور، محمد، الكتاب والقران رؤية جديدة، دار الساقي، بيروت ٢٠١١، ص٢٢.
٤. ابن جني، ابو افتح عثمان(ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م) الخصائص، تحقيق، عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ٢٠٠٢، ٨٧/١.
٥. الاوسي، حكمت، التأثير العربي في الثقافة الاسبانية، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٤، ص١٥.
٦. محمد بحر، عبد المجيد، اليهود في الاندلس، دار الكتاب العربي ، القاهرة، ١٩٧٠، ص٢٢.
٧. حسن أبراهيم حسن، تاريخ الاسلام(السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) مكتبة النهضة المصرية، ط٧، ١٩٦٤، ٤٢٨/٣.
٨. محمد بحر، المرجع السابق، ص٢٣.
٩. الخالدي، خالد يونس، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٩٩،ص٣١٨.
١٠. ينظر:ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس أحمد بن القاسم(ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م)عيون الانباء في طبقات الاطباء، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨، ص٤٥٧؛ كواتي، مسعود، اليهود في المغرب والاندلس، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٠، ص١٨٦.
١١. الزعفراني، حاييم، يهود الاندلس والمغرب، ترجمة، احمد شحلان، مطبعة النجاح، الرباط، د.ت، ص١٥١.
١٢. موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين، دار مطابع المستقبل، القاهرة، د.ت، ص٧٣.
١٣. شحلان، احمد، التراث العبري اليهودي في المغرب الاسلامي، منشورات وزارة الاوقاف، المغرب، ٢٠٠٦، ص٦٤.
١٤. الخالدي، المرجع السابق، ص٣٢٠.
١٥. احمد بن عبد الملك بن شهيد، ولد سنة(٣٨٢هـ/٩٩٢م) من كبار العلماء الاندلسيين وأوسعهم علما وادبا توفي سنة(٤٢٦هـ/١٠٣٥م) في مدينة قرطبة، ينظر:الزركلي، الاعلام، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ٢٠٠٢، ١٦٣/١.
١٦. ابن بسام، ابو الحسن علي الشنتريني(ت٥٤٢هـ/١١٤٨م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، أحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت، ٢٣٣/١.
١٧. نفسه، ١/ ٢٣٤.
١٨. شاخت وبوزورث، تراث الاسلام، ترجمة، حسين مؤنس، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٨٨، ٢١٧/٢.
١٩. ابن الابار، محمد بن عبد الله القضاعي(ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) درر السمط في خبر السبط، تحقيق، عز الدين عمر، دار المغرب الاسلامي، ط١، بيروت، ١٩٨٧، ص٢٤.
٢٠. هنداوي، أبراهيم موسى، الاثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الانجلو، القاهرة، ١٩٦٧، ص١٠.
٢١. نفسه، ص١٥.
٢٢. الخالدي، المرجع السابق، ص٣٣٨.

٢٣.عاشور، منصورية، التسامح الديني في ظل الدولة الاموية في الاندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، كلية الاداب، الجزائر، ص١٣٠.

٢٤.كيب، جوزيف مايك، مدينة العرب في الاندلس، ترجمة، تقي الهلالي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٥٠، ص٦٠.

٢٥.الزعفراني، المرجع السابق،ص١٥٢.

٢٦.شحلان، المرجع السابق، ص٣١.

٢٧.استانلي، لين بول، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠، ص١٣٤.

٢٨.ذياب، حامد، الكتب والمكتبات في الاندلس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ص٣٥.

٢٩.أبو دياك، صالح محمد فياض، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عهد المرابطين وملوك الطوائف، مكتبة الكناني، ط١، أربد، ١٩٨٨، ص٣١٦.

٣٠.عبد الحليم رجب، العلاقات بين الاندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت، ص٤٥٩.

٣١.بروفنسال، حضارة العرب في الاندلس، ترجمة، ذوقان قرقوط، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص٨٨.

٣٢.شحرور، محمد، المرجع السابق، ص٢٣.٢٤.

٣٣.ينظر: بروفنسال، المرجع السابق، ص٨٨ ؛ كحيلة، عبادة، الخصوصية الاندلسية وأصولها الجغرافية، مركز عين للدراسات، القاهرة، ١٩٩٥، ص٢٥.

٣٤.ذياب، المرجع نفسه، ص٥١.

٣٥.عبد الحليم منتصر، تاريخ العلوم ودور العلماء في تقدمه، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠، ص٢٣٠.

٣٦.لورد، دوروثي، أسبانيا شعبها وارضها، ترجمة، طارق فودة، مكتبة النهضة، ١٩٦٥، ص٥١.

٣٧.كرد علي، محمد، غابر الاندلس وحاضرها، المطبعة الرحمانية، ط١، القاهرة، ١٩٢٣، ص٣٨.

٣٨.عبد البديع، لطفي، الاسلام في أسبانيا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط١، القاهرة، ١٩٥٨، ص٢٨.

٣٩.فينيه، اخوان، العلوم الفيزياوية والطبيعية في الاندلس، ترجمة، أكرم ذنون، ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير، سلمى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩، ١٢٩٧/٢.

٤٠.ابن ابي أصيبعة، المصدر السابق، ص٤٤٨.

٤١.استانلي، المرجع السابق، ص١٣٤.

٤٢.بروفنسال، الاسلام في المغرب والاندلس، ترجمة، محمود عبد العزيز سالم، سلسلة الالف كتاب، مطبعة النهضة، القاهرة، د.ت، ص١٣٢.

٤٣.ارسلان، شكيب، الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ٣٤٦/١.

٤٤.طه، عبد الواحد ذنون، دراسات أندلسية(المجموعة الاولى) مكتبة بسام، ط١، ١٩٨٦، ص٢٣٦.

٤٥. ينظر: حتي، فيليب، العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، ط٦، بيروت، ١٩٩١، ص١٨٥؛ عبد الحليم، رجب، المرجع السابق، ص٤٥٩ ؛ سويلم، سائدة عبد الفتاح، علاقة الامارة الاموية في الاندلس مع الممالك النصرانية في أسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،٢٠٠١، ص١٤٥.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر

١. القران الكريم

٢. ابن الابار، محمد بن عبد الله القضاعي(ت٦٥٨هـ/١٢٦٠م) درر السمط في خبر السبط، تحقيق، عز الدين عمر، دار المغرب الاسلامي، ط، بيروت، ١٩٨٧.

٣. ابن ابي اصيبعة، موفق الدين ابي العباس أحمد بن القاسم(ت٦٦٨هـ/١٢٧٠م)عيون الانباء في طبقات الاطباء، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ١٩٩٨.

٤. ابن بسام، ابو الحسن علي الشنتريني(ت٥٤٢هـ/١١٤٨م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق، أحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

٥. ابن جني، ابو افتح عثمان(ت٣٩٢هـ/١٠٠٢م) الخصائص، تحقيق، عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط، بيروت، ٢٠٠٢.

ثانيا: المراجع

٦. ارسلان، شكيب، الحلل السندسية في الاخبار والآثار الاندلسية، مكتبة الحياة، بيروت، د.ت.

٧. استانلي، لين بول، قصة العرب في اسبانيا، ترجمة عفيف البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩٠.

٨. بروفنسال، الاسلام في المغرب والاندلس، ترجمة، محمود عبد العزيز سالم، سلسلة الالف كتاب، مطبعة النهضة، القاهرة، د.ت.

٩. حتي، فيليب، العرب تاريخ موجز، دار العلم للملايين، ط٦، بيروت، ١٩٩١.

١٠. حسن أبراهيم حسن، تاريخ الاسلام(السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) مكتبة النهضة المصرية، ط، ١٩٦٤.

١١. الخالدي، خالد يونس، اليهود في الدولة العربية الاسلامية في الاندلس، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الاداب، ١٩٩٩.

١٢. أبو دياك، صالح محمد فياض، الوجيز في تاريخ المغرب والأندلس من الفتح إلى بداية عهد المرابطين وملوك الطوائف، مكتبة الكناني، ١، أربد، ١٩٨٨.

١٣. ذياب، حامد، الكتب والمكتبات في الاندلس، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.

١٤. الزركلي، الاعلام، دار العلم للملايين، ط٥، بيروت، ٢٠٠٢.

١٥. الزعفراني، حاييم، يهود الاندلس والمغرب، ترجمة، احمد شحلان، مطبعة النجاح، الرباط، د.ت.

١٦. سويلم، سائدة عبد الفتاح، علاقة الامارة الاموية في الاندلس مع الممالك النصرانية في أسبانيا، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين،٢٠٠١.

١٧. شاخت وبوزورث، تراث الاسلام، ترجمة، حسين مؤنس، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ١٩٨٨.

١٨. شحرور، محمد، الكتاب والقران رؤية جديدة، دار الساقي، بيروت ٢٠١١.

١٩. شحلان، احمد، التراث العبري اليهودي في المغرب الاسلامي، منشورات وزارة الاوقاف، المغرب، ٢٠٠٦.

٢٠. طه، عبد الواحد ذنون، دراسات أندلسية(المجموعة الاولى) مكتبة بسام، ط١، ١٩٨٦.

٢١. عاشور، منصورية، التسامح الديني في ظل الدولة الاموية في الاندلس، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر، كلية الاداب، الجزائر.

٢٢. عبد الحليم رجب، العلاقات بين الاندلس الاسلامية وأسبانيا النصرانية في عصر بني أمية، دار الكتاب المصري، القاهرة، د.ت.

٢٣. عبد الحليم منتصر، تاريخ العلوم ودور العلماء في تقدمه، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.

٢٤. عبد البديع، لطفي، الاسلام في أسبانيا، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط١، القاهرة، ١٩٥٨.

٢٥. فينيه، اخوان، العلوم الفيزياوية والطبيعية في الاندلس، ترجمة، أكرم ذنون، ضمن كتاب الحضارة العربية الاسلامية في الاندلس، تحرير، سلمى الجيوسي، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٩.

٢٦. كحيلة، عبادة، الخصوصية الاندلسية وأصولها الجفرافية، مركز عين للدراسات، القاهرة، ١٩٩٥.

٢٧. كرد علي، محمد، غابر الاندلس وحاضرها، المطبعة الرحمانية، ط١، القاهرة، ١٩٢٣.

٢٨. كيب، جوزيف مايك، مدينة العرب في الاندلس، ترجمة، تقي الهلالي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٥٠.

٢٩. كواتي، مسعود، اليهود في المغرب والأندلس، دار هومة، الجزائر، ٢٠٠٠.

٣٠. لورد، دوروثي، أسبانيا شعبها وأرضها، ترجمة، طارق فودة، مكتبة النهضة، ١٩٦٥.

٣١. محمد بحر، عبد المجيد، اليهود في الاندلس، دار الكتاب العربي ، القاهرة، ١٩٧٠.

٣٢. موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين، دار مطابع المستقبل، القاهرة، د.ت.

٣٣. هنداوي، إبراهيم موسى، الاثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الانجلو، القاهرة، ١٩٦٧.